

سياسة الدولة تجاه أعدائها في فكر المرجع الديني

(محمد الحسيني الشيرازي)

أ.م.د. صفاء شارد الركابي ، أ.م.د. زمن حسن كريدي

جامعة ذي قار - كلية الآداب

المقدمة:

حفل التاريخ الشيعي بعلماء وفقهاء ساهموا في رسم سياسة الدولة من خلال طروحاتهم وأفكارهم والتي تدل على ومدى تفاعلهم مع الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي ، ومن بين هؤلاء الفقهاء والعلماء الذين تركوا علامات مميزة المرجع الديني محمد الحسيني الشيرازي فالأسرة الشيرازية احتوت بفكرها جميع الأبعاد الإنسانية وتركت لمسات من خلال تناولها المميز للقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

يتناول هذا البحث سياسة الدولة في مواجهة أعدائها في فكر المرجع الديني محمد الحسيني الشيرازي ، فهو من الشخصيات الدينية التي اهتمت بشكل كبير في القضايا التي تتعلق بسياسة الدولة ، ومؤلفاته تدل على ذلك ، اذ الف العديد من الكتب التي تناولت هذا الجانب فالدولة في فكره ذات طابع ديني لذا يرى بوجود منحها الشرعية وان ما عداها باطل ، لذا نلحظ تأكيده على ضرورة الحفاظ عليها من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية وسن القوانين التي تتناسب مع طبيعة المرحلة التي تقام بها ، كما أكد على نقطة مهمة الا وهي السياسة التي يجب ان تتبعها الدولة مع أعدائها فمن أهم واجبات الدولة هو تجنب العداوات وعدم السماح لها بالظهور ، واذا ظهرت يجب الإسراع في إطفائها ، وهنا يقصد بالأعداء (أعداء الداخل) فالمعارض للحكم قد يسعى بكل الطرق لإسقاط الحكم القائم لذا قال عن ذلك : " وربما سببت عداوة إنسان إسقاط دولة " ولا يكتفي بذلك انما يصوغ الحلول التي يمكن ان يلجأ إليها حاكم الدولة للتخلص من أعدائه ؟

ضم البحث خمسة محاور تناول الأول: سيرته الشخصية والعلمية واختص الثاني بجوانب من نشاطاته السياسية وركز الثالث على: طبيعة الدولة في فكره، وتطرق الرابع

الى :سياسة الدولة تجاه أعدائها في فكره ، وتناول الخامس جملة من الحلول التي صاغها السيد الشيرازي لإنقاذ الدولة من شر الأعداء.

أولاً: سيرته الشخصية والعلمية

هو محمد بن السيد الميزرا محمود بن السيد الميزرا إسماعيل بن السيد فتح الله بن السيد عابد بن السيد لطف الله بن السيد محمد مؤمن الحسيني الشيرازي ، ويتهي نسب عائلته الى زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام)^(١) اما أمه فهي السيدة حليلة بنت السيد عبد الصاحب بن اغا برزك حفيد المجدد محمد حسن الشيرازي^(٢)

عرفت أسرته بهذا الاسم نسبة إلى مدينة شيراز الإيرانية ، وأول من هاجر منها الى العراق السيد محمد حسن المعروف بالمجدد الأكبر(١٢٥٧هـ/١٨٤٣م)^(٣) حيث سكن كربلاء ثم انتقل منها الى النجف الاشرف ، ومنها استقر في سامراء^(٤)، نبع من هذه الأسرة العديد من العلماء الذين كان لهم دور في الاحداث السياسية والعلمية خاصة في العراق وإيران وأفغانستان ودول الخليج العربي^(٥).

ولد السيد محمد الحسيني الشيرازي عام (١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م) في مدينة النجف الأشرف وفي السنة التاسعة من عمره هاجر منها بصحبة والده الى كربلاء ومنها هاجر الى سوريا ثم الى الكويت وليستقر في إيران الى حين وفاته سنة (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)^(٦) اتصف المرجع الشيرازي بالأخلاق الحميدة ، لاسيما التواضع والسماحة والحلم والشجاعة والاستقامة ، وكان تعليمه على أيدي كبار العلماء والأساتذة والفقهاء منهم ، والده آية الله العظمى الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي اذ تعلم على يده دروس النحو والمنطق والبلاغة والحساب ، فضلاً عن ذلك قرأ عنده مجموعة رسائل في درس الخارج^(٧). كما درس على أساتذة آخرين منهم : السيد حسن القمي ، واية الله العظمى الشيخ محمد على سرايي ، واية الله الشيخ يوسف الخرساني ، والعلامة محمد هادي الميلاني ، واية الله الشيخ محمد رضا الأصفهاني ، واية الله السيد زين العابدين الكاشاني ، واية الله الشيخ جعفر الرشتي^(٨).

يعد الشيرازي من المهتمين بالمجال الفكري اذ الف العديد من المؤلفات التي عكست اثر أسرته الفقهي والعلمي.ومن بين مؤلفاته هي -تيار الإصلاح- محنة العراق-حكومة الأكثرية دعاة التغيير -ومستقبل العراق-،التهجير جناية العصر -الى المجاهدين في العراق، وصايا الى الكوادر العراقية -،مستقبل العراق بين الدعاء والعمل-،الصلح مع اليهود استسلام لا سلام،العراق ماضيه ومستقبله - كيف ولماذا أخرجنا من العراق،- الشيعة والحكم في العراق وغيرها من المؤلفات^(٩) ونلاحظ ان اغلب مؤلفاته تدل على اهتمامه بالقضايا التي تخص الجانب السياسي لاسيما ما يتعلق منها بالعراق اذ اخذت جزء كبير من اهتمامه.

ثانيا: جوانب من نشاطاته السياسية

عاصر السيد الشيرازي احداث سياسية مهمة سواء على الصعيد الداخلي في العراق ام على الصعيد الخارجي في الوطن العربي إذا شهدت الأمة الإسلامية بشكل عامة والعراق بشكل خاص احداث سياسية خطيرة و انتكاسات وهزائم متعددة أمام الكيان الصهيوني^(١٠)، ففي العراق قامت ثورة(١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م)^(١١) وكان من نتيجتها ان بدأت المجابهة الفعلية للحزب الشيوعي ضد المنتسبين للحوزة العلمية في النجف الأشرف ، لاسيما ان قوة الحزب الشيوعي قد ازدادت بعد مشاركته فيها إلى جانب عبد الكريم قاسم^(١٢) ، اذ اعتمد عليهم نظراً لمقدرتهم على تنظيم العمل في المناطق العراقية التي صعب على التنظيمات السياسية الأخرى تنظيمها^(١٣) وفي ظل هذه الظروف كان السيد الشيرازي حريصاً على دفع المرجعية الدينية الى الأخذ بدورها المناسب في التصدي للشؤون العامة اذ انتقد أسلوب الانقلابات العسكرية التي شهدها العراق وعد قادة الانقلابات العسكرية هم من عملاء الغرب الذين يضعون إرادتهم بأيدي المستعمرين وينفذون لهم مخططاتهم من خلال هذه الانقلابات التي تدر عليهم أرباحاً طائلة ، ، كما وقف ضد المد الشيوعي ، واتخذ الموقف ذاته اتجاه المد القومي الذي جاء مع انقلاب عام (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) ^(١٤) .

وبعد تسلم البعثيون السلطة بدأ التعاون بين الحزبين الشيوعي وحزب البعث من أجل القضاء على الأنشطة الدينية اذ عمدوا الى متابعة رجال الدين والتضييق عليهم^(١٥)، ونظراً لتلك السياسة التي اعتمدها حزب البعث في التضييق على رجال الدين وبسبب المضايقات التي تعرض لها السيد الشيرازي هو وأسرتة اضطر الى ترك العراق سنة (١٣٨٩هـ/١٩٧٠م) والتوجه الى سوريا^(١٦)، وكان له نشاطات في سوريا ولبنان لنشر الوعي الديني والسياسي كما عمل على تأسيس مدرسة ومكتبة حكومية ، وناهض الاحتلال الصهيوني ، واصدر بيانات تندد باليهود وأساليهم ضد الشعب الفلسطيني ، وعلى اثر انتصار ثورة (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٩ م) التي قامت في ايران انتقل الشيرازي الى هناك وأيد القيادة الإيرانية الجديدة وبقي فيها حتى وفاته (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)^(١٧).

ساهمت المرجعية في الاحداث الدينية والوطنية على مستوى القيادة مساهمة فعالة مما كشف عن فكر سياسي لديها يؤهلها الى تحمل مسؤولية قيادة المجتمع^(١٨) فالسيد الشيرازي تصدى بشكل فلسفي وفكري لما تتعرض له الدول العربية من ضعف ووهن ساهم بشكل او بآخر في وقوعها تحت السيطرة الاستعمارية ، وكان جُل اهتمامه استئصال جذور الجهل بكافة إشكاله ومحاربة الفساد الذي تفشى في المجتمع الإسلامي ، لذا ركز على إجراء عملية توعية مكثفة وضع لها برامج ومخططات مناسبة ، منها إعداد قادة مثقفين ثقافة إسلامية ، كي تفهم القاعدة من المجتمع الإسلامي ان الإسلام يجاري التطور وليس العكس ، كما أولى اهتماماً كبيراً لوسائل الإعلام ومنها الكتابة اذ إلف كتباً عدة تناولت جوانب تخص المشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية وحرصاً منه في تطبيق ما يصبوا إليه أسس العديد من المدارس والمعاهد والكليات التي تهدف الى نشر الوعي الديني والثقافي بين الناس ، فضلاً عن الكتابة أرسل الشيرازي مجموعة من الوفود والخطباء الى البلدان الإسلامية لنشر الوعي الديني فيها^(١٩) ، لأنه يرى ان الثقافة الإسلامية من شأنها ان تحرر المسلمين من سيطرة الأعداء اذ قال عن ذلك : " كانت هذه الثقافة هي التي طردت الانجليز للمرة الثانية من العراق أبان الحرب العالمية الثانية..."^(٢٠) يفهم من ذلك ان علماء المسلمين الشيعة قد قاموا بدور كبير في حفظ

أصالة الإسلام والدفاع عنه ضد الأخطار التي تحيق به والشبهات والانحرافات والأفكار الضالة والحكام الطغاة الذين خرجوا عن جادة الحق، وحسب الظروف المتاحة لهم^(٢١).

ثالثا: طبيعة الدولة في فكره

الدولة في فكره هي ذات طابع ديني لذا أكد على ضرورة منحها الشرعية وان ما عداها باطل ولا يمكن الاعتراف به ولن يجلب للبشر الا مزيد من الفرقة وعدم السعادة وعبر عن ذلك بقوله: " فالدين إنما يحدد سلطة الدولة لا أنه يحق للدولة ان تحدد سلطة الدين^(٢٢) " ويقصد بالدين هنا الدين الإسلامي، فهو يرفض فصل الدين عن السياسة لان السياسة من صميم الإسلام، وان كل محاولة لفصل الدين عن السياسة هي من قبيل فصل العبادة عن الإسلام، وقد كان رأي الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء اخذ زمام السياسة بأيديهم فأن لم يتمكنوا من ذلك وجهوا الناس الى وجوب ذلك مهما قدروا^(٢٣)

ناقش السيد الشيرازي مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية في الدولة التي يطمح الى قيامها، اذ يرى ان التنظيم القانوني للدولة يجب ان يستند الى الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ولا يوجد دستور يمتلك صفة الثبات^(٢٤)، بمعنى ان الدستور قابل للتغيير بحسب الظروف التي تحيط بالمجتمع، فالقانون بغض النظر عن الزمان والمكان هو خلاصة تجارب المجتمعات ومجمع ثقافتها، و لم يكن ولن يكون ظاهرة فردية وحادث من حوادث المصادفة او استجابة لرغبة شخصية للمشرع، وان حاول بعض المشرعين إخضاع القانون لإرادتهم^(٢٥). وهنا تجدر الإشارة الى ان مباحث علم القانون تسعى بجد إلى دراسة القواعد القانونية وبما يحقق الملائمة بينها وبين الظروف المحيطة والمستجدة من اجل صياغة قوانين تنسجم مع احتياجات البشر. ^(٢٦).

لذا حرص المرجع الشيرازي على تطبيق القانون الإلهي فقط فهو يرى انه لا قيمة للقوانين الوضعية، فالقانون هو قانون السماء^(٢٧)، والمنهج الذي طرحه لتسير الدولة على ضوئه في مواجهة أعدائها ينبثق من أحكام القران الكريم وسيرة الرسول الأكرم (محمد صلى الله عليه واله وسلم). فهو يطمح إلى إقامة دولة إسلامية تضم إلف مليون

مسلم بهدف إعادة الحكومة الإسلامية التي أسسها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، ويدعو إلى إسقاط الحدود المصطنعة التي أوجدها الاستعمار من أجل تفرقة المسلمين ، وأشار إلى إمكانية تحقيق ذلك من خلال التوعية الإسلامية والتنظيم والاعتماد على القوانين المستقاة من الكتاب والسنة والإجماع^(٢٨).

ويرى أحد الباحثين أن الدولة التي يطمح إلى قيامها لا زالت في طور النظري في الوقت الحاضر ولا يوجد لها تطبيق صحيح واحد على الرغم من وجود تجارب عديدة لنظام الحكم الذي يدعي عمله بالإسلام^(٢٩) ونحن نتفق معه في ذلك لأن أغلب الدول تتخذ من الدين غطاءً لكسب الشرعية إلا أن سياستها ومنهجها يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي.

رابعاً: سياسة الدولة تجاه أعدائها في فكره

لا بد لنا قبل أن نتعرف على سياسة الدولة تجاه أعدائها في فكر المرجع محمد الحسيني الشيرازي أن نسلط الضوء على نقطة مهمة ألا وهي منهم أعداء الدولة في نظره ، فقد وحصر الشيرازي الناس في داخل الدولة بصورة عامة في ثلاثة أقسام وهم :

١- أعداء الدولة

٢- أصدقاءها السابقون الذين أزروها إلى أن وصلت إلى الحكم

٣- المحايدون^(٣٠)

طرح خلال حديثه عن السياسة التي يجب أن تلجأ إليها الدولة مع أعدائها لها سواء كانوا في الداخل أم في الخارج جملة من الأمور التي تساهم في كسب ودهم والتخفيف من حدة خطرهم وهذا يأتي من منطلق دور رجال الدين في قيادتهم للمجتمع الإسلامي وفق الأسس التي سنها الله تعالى في قيادة الإنسان للمجتمع، فمن أهم واجبات الدولة في نظره هي أن لا تترك العداوات تأخذ سبيلها بالظهور ، وإذا ظهرت تسرع في إطفائها ، وبذلك يؤكد على القضاء عليها بأسرع وقت ، وهنا يقصد بالأعداء داخل الدولة فالمعارض للحكم قد يسعى بكل الطرق لإسقاط الحكم القائم لذا قال عن ذلك : " وربما سببت عداوة إنسان إسقاط دولة ، وقد قيل قديماً : " ومعظم النار من

مستصغر الشرر" (٣١)؟ فالدولة الأموية على الرغم من إمكانياتها وقوة ونفوذها إلا أنها سقطت بسبب العداوات التي خلقتها وعدم استقطابها لأعدائها في الداخل (٣٢). لذا نجد يوجه نقده للحكام للذين يخلقون العداوات ويتوقعون أنها ستكون سبباً في رفعتهم ، بل يرى ان بعضهم اغرق في ذلك حتى قال : " يلزم على الحاكم ان يخلق الأعداء لأجل ذلك " ويوجه السيد الشيرازي النصح لهم بتجنب ذلك لان النصر ليس حليف الحاكم دائماً اذا خلق العداوة لان العدو ينخر الإنسان حتى يأتي عليه ، كما ينصح الحاكم بعدم معادة العدو كل المعادة ، وعدم الثقة بالصديق كل الثقة فكثيراً ما ينقلب العدو صديقاً والصديق عدواً ، فضلاً عن ذلك أكد على ضرورة تجنب العداوة المفرطة حتى مع الأعداء ، وهو أمر ضروري جداً ، لذا حث الدولة على جذب أعدائها واستقطابهم ، لاسيما اذا كانت الدولة حازمة ، وخصوصاً اذا كان للعدو مركز يحشى من سقوطه ويحتاج إلى بقاءه ، فإنه اذا استقطبته الدولة اخلص لها لمحو سالف العداة وللإبقاء على مركزه ، وكذلك اذا كان العدو ينوي الوصول إلى مركز مرموق يجب ان تساعده الدولة في الوصول إلى ذلك المركز ، و اشار الى ان خدمة الأعداء أكثر من خدمة الأصدقاء السابقين لان الأصدقاء لا فراغ لهم يريدون ملاءه ، على عكس أولئك الأعداء ، بشرط ان الا يكون ذلك العدو من قسم الانتهازيين (٣٣)

ولكي تصل الفكرة الى جميع القراء على اختلاف مستوياتهم نجد يعزز كلامه بروايات تاريخية من سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم تمثل الأسس التي يمكن للدولة ان تلجأ إليها لمواجهة أعدائها اذا استشهد بموقفه صلى الله عليه وسلم من أعدائه بعد فتح مكة (٦٢٩هـ / ٦٢٩م) بقوله : " وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حيث أبقى على صداقة المهاجرين والأنصار ، واستقطب أهل مكة الذين محضوا العداة له مدة عقدين من الزمن ، ... " (٣٤) يفهم من كلامه انه أرد ان ينبه الدولة الى ضرورة ضبط النفس وعدم اللجوء الى القوة مع الأعداء حتى في حالة ضعف ذلك العدو ، لان ذلك من شأنه ان يزيد من حدة عدائهم للدولة ، لاسيما ان الاستبداد بالحكم من الأزمات التي يواجها الشعب بسبب سوء سياسة الحكومات القائمة (٣٥)

وذكر أيضا موقف آخر للرسول مع أعدائه ليوضح الطرق التي تمكن الدولة من كسب ود أعدائها الا هو موقف الرسول محمد صلى الله عليه واله من يهود خيبر بقوله : " تودد إليهم بتزويج إحدى بناتهم (صفية) وترك دورهم لأنفسهم و المقاسمة معهم في أراضيهم الزراعية وبساتينهم " وهنا طريقة أخرى أشار الى إمكانية اعتمادها من قبل الدولة للتقرب من أعدائها الا وهي المصاهرة معهم ليكونوا بذلك مقربين لها ، فمثل هذه الخطوات تزيدها قوة إلى قوة ، في حين يجد ان الدولة التي تعمل العكس وتزيد من عداوة الأعداء ، وتقلب الأصدقاء أعداء ، وتوجب التفرقة والاختلاف^(٣٦).

فالشيرازي يرى ان سياسة الإسلام في اللأعنف والسلم، قد بلغت قدراً من القداسة بحيث إنها أتاحت المضمار لشتى الطوائف على مختلف مشاربهم وأفكارهم في أن يبديوا آراءهم واعتراضاتهم إزاء كل شاردة وواردة تطرأ على الساحة، وهذا ما يسمى بحرية المعارضة وحقوقها. في عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) تمثل الإسلام الأول ورافع راية النبوة الخاتمة كان المعارضون حتى من غير المسلمين، يبديون اعتراضاتهم بكل صراحة ودون أية مخافة، وكان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يتقبل ذلك بصدر رحب ويتعامل معهم بكل حفاوة واحترام ولم يلجأ يوماً ما إلى العنف والبطش معهم أبداً^(٣٧).

ولعل خير دليل على حرص المرجع الشيرازي على تنفيذ تلك الأمور التي حث الدولة على وجوب اتباعها اتخاذ موقف معارض في إصدار فتوى تبيح استعمال القوة ضد الأكراد) من قبل حكومة عبد السلام عارف، وورد عنه قوله : " قال لنا موفد عارف لماذا لا تصدرون الفتوى ؟ أستم تنادون بالوحدة الإسلامية وإزالة الحدود الجغرافية ، وهؤلاء الأكراد انفصاليون^(٣٨) يريدون تجزئه العراق واستئصال جزء منه لإنشاء دولة قومية لهم - (رد الشيرازي) : " قلت له المشكلة تكمن في إنكم لم تطبقوا المنهج الإسلامي الذي يعطي كل صاحب حق حقه فلو كنتم قد طبقتم الإسلام لما طالب الأكراد بتلك الحقوق ، لان حقوقهم مصونة في ظل النظام السياسي الإسلامي ، فالإسلام يساوي بين الجميع في الحصول على العلم والمال والقدرة والمنصب وما أشبه

ذلك (أضف إلى ذلك) إنكم رفعتم بوجه القوميات الأخرى لواء الدعوة القومية العربية وهذا يوجب ظهور التعصب القومي عند الآخرين، فلا تستغرب عندما يثور الأكراد وهم يطالبون بحقوقهم لأنكم السبب في ذلك، لان دعوتكم لا تتفق مع مقاييس إسلامية ولا عقلية ولا واقعية" (٢٩) وهنا نلاحظ تركيزه على تطبيق تعاليم الإسلام لكسب المعارضين للدولة، وان محاولة الكرد في الانفصال ما هي الا نتيجة للسياسة الخاطئة الي سلكتها الدولة .

وفضلاً عن ذلك وجه السيد الشيرازي نقده للنظام البائد في العراق نظراً لإتباعه سياسة العنف تلك السياسة التي سقط ضحيتها عدد من الأبرياء وزج في السجون مئات آخرين بدون ذنب يستوجب ذلك، وحسب النظرية التي حث سماحته الدولة على إتباعها التي توجب بجذب الأعداء في الداخل واستقطابهم بدل من تعذيبهم، فان النظام البائد قد سقط بسبب سوء سياسته وعدم استفادته من تجارب الآخرين (٤٠).

وتطبيقاً للسياسة التي انتهجها الرسول مع اليهود نجد السيد الشيرازي يوجه نقد لزعيم منظمة التحرير الفلسطينية - ياسر عرفات مع اليهود اذ أرسل إليه رسالة اخبره فيها انه بسياسته الحالية لن ينتصر على إسرائيل وذلك لسببين : الأول اعتماد سياسة العنف في العمل السياسي، والثاني ترك ذكر الله واعتماد كتابه الكريم (٤١).

ومن النقاط المهمة التي وقف عندها المرجع الشيرازي هي موقف الدولة من المواليين الحكومات السابقة، لأنهم رضوا عن الحكومة السابقة -على الرغم من سياسة التعسف التي كانت تسير عليها، فأنهم سيرضون عن الحكومة الجديدة حسب رأيه اذ حفظت أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، فالرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم قد عفا عن اهل مكة وقال لهم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء"فما كان منهم الا ان أصبحوا مواطنين ولم يشكلوا مصدر قلق للدولة، في حين ان التصرف بعنف وخشونة معهم سيؤدي إلى تعقيد الأمر فقد يتحول هؤلاء إلى أعداء للدولة يسعون إلى الخلاص منها (٤٢)

اما بالنسبة للأصدقاء فهو يؤكد على المحافظة على صداقة الأصدقاء بشرط تجنب منحهم الثقة الشديدة ، وعدم ومنح الثقة الكاملة بالأعداء فضلاً عن الأصدقاء لأنه كثيراً ما يتحول الصديق إلى عدو فمن الضروري تجنب الثقة الزائدة وعدم منح إسرار الدولة لأي شخص لأنه قد يشكل مصدر خطر فيما بعد^(٤٣).

اما المحايدون من أبناء البلد فهؤلاء يريدون العيش بسلام بعيداً عن الحروب والنزعات ، وإنهم يمكن ان يثوروا ضد الدولة في حال اعتمدت الدكتاتورية نهجاً لها واستأثرت بالحكم والمال والسلاح والامتيازات ، لان الشعب اذا ثار لا يبقى ولا يذر ، وهنا يضع الشيرازي الحل لمثل ذلك الأمر وهو ان يلجأ الحكام إلى التقرب إلى الشعب واتخاذهم قلعة له بدل من قلعة السلاح ، ونبه إلى عدم شغل الدولة نفسها بالعداوات والحروب بل يجب ان تشغل نفسها بالمشاريع الكبيرة والصغيرة ، وتقوية الجيش ، وجعل الأسس الرصينة للبقاء والرفاه ، بتعميم العلم وتربية النفوس ، وإخراج الكفاءات ، وذلك بإعطاء الحريات ، وإعطاء المكافآت المناسبة للمتفوقين ، مما يحفزهم لإكمال مسيرتهم العلمية^(٤٤).

وفيما يتعلق بأعداء الخارج أي الدولة المعادية للدولة الإسلامية فيرى بوجود الوقوف على الحياد فيما اذا ما قامت حرب بين الدولة المعادية لها ودولة أخرى ، لتجنب المشاكل التي قد تحدث فيما بعد ، كما انه أشار إلى ان دخولها الحرب مع تلك الدولة قد يعرضها إلى الخطر كما حدث مع الدولة العثمانية عندما دخلت مع ألمانيا في حربها مع بريطانيا^(٤٥).

خامساً: الحلول :

حدد السيد الشيرازي الآليات التي يتم بها تحقيق بناء الدولة الإسلامية قوية قادرة على مواجهة أعدائها أهمها الأرضية الصلبة والتي تتطلب التنظيم لأنه واجب شرعي وسنة كونية ، فضلاً عن كونه ضرورة حيوية وقوة ، مستوحياً ذلك من قوله تعالى : " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة "^(٤٦) ، وان إهمال التنظيم سيعرض الدولة إلى الضعف ويمكن الأعداء من التغلب عليها ، وان سبب سيطرة الدول الغربية على البلاد العربية يعود إلى إهمال العرب للتنظيم أنفسهم ، فإننا بدون التنظيم لن نستطيع مواجهة التحديات

المعاصرة، ولا يقتصر التنظيم على المسلمين فقط بل يجب ان يشمل غير المسلمين القاطنين في تلك البلاد، لان ذلك يسهم في مواجهة التحديات ويعمل على حفظ امن الدولة^(٤٧).

ومن جملة الحلول المهمة التي أكد عليها السيد الشيرازي هي ان على الدولة بدل ان تشغل نفسها بالحروب والعداوات - ان تشغل نفسها بالمشاريع الكبيرة لتقوية الجيش، وجعل الأسس الرصينة للبقاء والرفاء، بتعميم العلم وتربية النفوس، وإخراج الكفاءات، وذلك بإعطاء الحريات، وتسهيل سبل الوصول للناس الى ما أودع فيهم من دفائن العقول، وإعطاء المكافآت اللائقة للمتفوقين^(٤٨)، وألزم الدولة بتوفير السكن اللازم للمواطنين وإيصال الماء والكهرباء الى القرى والأرياف، ونشر التعليم ومحو الأمية، وإقامة المعامل التي توفر الحاجات الصناعية، وإطلاق الحريات وتجنب الحكم الدكتاتوري لان من شأنه توليد العداة ضد الدولة^(٤٩)

وفي الواقع ان تلك الحلول هي أساس قوة الدولة فنحن اليوم نعيش في ظل ظروف صعبة سببت أزمة بين الشعب والدولة بسبب إهمال الحكومات المتعاقبة على بلدنا مثل هذه الأمور التي نرى أنها ليس من الصعوبة بمكان الا أنها ولدت فجوة كبيرة نخشى من أثرها على واقع العراق في المستقبل .

كما أكد على ضرورة نشر العقيدة الإسلامية في كل الأصعدة والمستويات، فمن ضمن الأمور التي أشار الى ضرورة الإكثار منها لتقوية الدولة هي ذكر مصائب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من خلال إقامة المجالس الحسينية، وهذه الأمور من شأنها ان تزيد من قوة الأمة أولاً، وتوسعتها ثانياً، وحسب رأيه ان اضمحلال الأمم وخروجها عن ساحة الحياة تعلق بإحدى ثلاث: منها ضعف المبدأ، وعدم مطابقته للبرهان، وإما انصباب المصائب على الأمم، حيث لا تتحمل الأمة المقاومة، مما يسبب خروجها عن الساحة، اما ان الأمة لا أمل لها بالعون والمساعدة والنجدة، لذا تكون كالجيش المنهزم الذي لا يأمل في الإمداد فيفر من الميدان، كما اشار الى ان مبدأ الإسلام- عقيدة وشريعة - من أقوى المبادئ ويطابق العقل والمنطق في كل بند منه، وأكد على ان التفات الأمة

الى المصائب التي وردت على أهل البيت عليهم لسلام وإنهم تحملوها بكل رحابة صدر ، يوجب التأسي بهم ، ويؤكد ان الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) هو أمل المسلمين ، حيث يحتمل ظهوره ليشد أزر المسلمين^(٥٠) ، لاسيما ان الأمر المهم التي نذبت الشريعة على التمسك بها في عصر الغيبة الكبرى هو الارتباط بولاية الإمام المهدي (عجل الله فرجه) لان مستقبل الأمة مقترن بظهوره الشريف^(٥١).

الخاتمة

١- الدولة التي كان يرغب في تشكيلها هي دولة قائمة على تعاليم الدين الإسلامي ، تضم الف مليون مسلم لا فصلهم حواجز اصطناعية ، وهو أمر يصعب تحقيقه في ظل الظروف الراهنة ، نظراً لما يسعى له حكام الغرب من اتباع سياسة قائمة على أساس التفرقة بين العرب وفق منطلق فرق تسد .

٢- أكد على ضرورة التقرب من الأعداء على اختلاف عقيدتهم سواء كانوا من العرب ام من غيرهم ، وعدم إثارة الأحقاد بينهم او المطالبة بالثأر منهم
٣- يرى ان إظهار الحب مهم جدا في مسألة تخفيف حدة العداوة .

٤- استوحى أفكاره في رسم سياسة الدولة من وحي القرآن الكريم ومن فكر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم ، فهو يرى ان أفضل طريق لبناء دولة قوية خالية من العداوات هو الطريق الذي سلكه رسول الله عليه واله وسلم

٥- ان جملة الحلول التي صاغها لتخلص الدول من العداوات ، نحن الان بأمس الحاجة لها فهي تصلح ان تكون خارطة طريق يستعين بها الحكام لبناء دولة قوية متماسكة ، لا يمكن ان ينخرها الأعداء ويزيلوا حكمها .

٦- أكد الشيرازي على حقوق الإنسان والحريات العامة في الإسلام ، إذ حث على إطلاقها لجميع البشر بغض النظر عن توجههم الديني ، لان ذلك يعد السبيل لنهوض الأمة واستقرارها وبدونه لا يمكن ان يتم استقلال المسلمين .

٧- يرى ان خير وسيلة لزيادة قوة وصلابة الدولة هي التمسك بالشعائر الحسينية ونشر حقيقة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) لأنه يرى ان أمل المسلمين مقترن بظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف.

الملخص

يتناول هذا البحث سياسة الدولة في مواجهة أعدائها في فكر المرجع الديني محمد الحسيني الشيرازي، فهو من الشخصيات الدينية التي اهتمت بشكل كبير في القضايا التي تتعلق بسياسة الدولة، ومؤلفاته تدل على ذلك، اذ الف العديد من الكتب التي تناولت هذا الجانب فالدولة في فكره ذات طابع ديني لذا يرى بوجود منحها الشرعية، لذا نلحظ تأكيده على ضرورة الحفاظ عليها من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية وسن القوانين التي تتناسب مع طبيعة المرحلة التي تقام بها، كما أكد على نقطة مهمة الا وهي السياسة التي يجب ان تتبعها الدولة مع أعدائها اذ يرى ان من أهم واجبات الدولة هي تجنب العداوات وعدم السماح لها بالظهور، وهنا يقصد بالأعداء (أعداء الداخل) فالمعارض للحكم قد يسعى بكل الطرق لإسقاط الحكم القائم اذا قال عن ذلك: " وربما سببت عداوة إنسان إسقاط دولة " ولا يكفي بذلك انما يصوغ الحلول التي يمكن ان يلجا إليها حاكم الدولة للتخلص من أعدائه، استوحى أفكاره في رسم سياسة الدولة من وحي القرآن الكريم ومن فكر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم، و ان أفضل طريق لبناء دولة قوية خالية من العداوات هو الطريق الذي سلكه رسول الله عليه واله وسلم، يمكن القول ان جملة الحلول التي صاغها لتخلص الدول من العداوات تصلح ان تكون خارطة طريق يستعين بها الحكام لبناء دولة قوية متماسكة، لا يمكن ان ينخرها الأعداء ويزيلوا حكمها.

الهوامش :

- (١) الصالحى ، ال شيراز ، مجلة النبأ ، العدد ٩٦ ، ص ٢٠
- (٢) محمد حسين الشيرازي ، والدتي ، ص ٢٦
- (٣) السيد محمد الغروي ، المرجعية ومواقفها السياسية ، ص ١٨
- (٤) عبد الكريم ال نجف ، من أعلام الفكر والقيادة والمرجعية ، ج ١ / ص ٩٢
- (٥) محمد طالب الأديب ، رحلة في آفاق الحياة ، ص ١٣
- (٦) العرداوي ، الفكر السياسي عند محمد الحسيني الشيرازي ، ص ٣٤
- (٧) الشيرازي ، عشت في كربلاء ، ص ١٦
- (٨) المصدر نفسه ، ص ١٧
- (٩) ينظر شبكة الفكر للمعلومات الالكترونية ، مؤلفات السيد محمد الحسيني الشيرازي <http://alfeker.net/authors.php?id=٥١>
- (١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٢
- (١١) اندلعت هذه الثورة بعد الأحداث التي شهدتها مصر عام ١٩٥٦ والمتمثلة بإعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ، وما ترتب على ذلك من عدوان ثلاثي على مصر ، وبدا في تلك الأثناء التفكير الجدي لدى العراقيين بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية والحكم الملكي فتعاونت الأحزاب الموجودة في العراق لأجل الإطاحة بالحكم الملكي ومن هذه الأحزاب الحزب الشيوعي وحزب البعث والحزب الوطني الديمقراطي . حسين ، خليل إبراهيم: الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين ص ١٤٨ وما بعدها .
- (١٢) خدوري ، مجيد : العراق الجمهوري ، ص ١٣٦-١٣٨ ؛ العلوي ، حسن : الشيعة والدولة القومية في العراق ، ص ١٩٥ .
- (١٣) تريب ، تشارلز: صفحات من تاريخ العراق ، ص ٢١٣ .
- (١٤) العرداوي ، الفكر السياسي ، ص ٤٠-٤١
- (١٥) تشارلز: صفحات من تاريخ العراق ، ص ٢٣٤-٢٦٨ .
- (١٦) محمد حسين الشيرازي ، كيف ولماذا خرجنا من العراق ، ص ٩
- (١٧) العرداوي ، الفكر السياسي ، ص ٢٤-٤٣
- (١٨) راجي نصير ، المرجعية الدينية في النجف الاشرف واثرها في الراي العام العراقي بعد ٢٠٠٣ ص ١٨٦
- (١٩) العرداوي ، الفكر السياسي ، ص ٣٦-٣٧

- (٢٠) الشيرازي ، السبيل الى انهاض المسلمين ، ص ٢٤
- (٢١) نضير الخزر جي ، المرجعية الدينية في نصف قرن ، ص ٩٩
- (٢٢) محمد الحسيني الشيرازي ، فقه الحكم في الاسلام ، ج ٩٩/ص ٧
- (٢٣) محمد حسين الشيرازي ، فقه السياسة ، ج ١/٤٥
- (٢٤) العرداوي ، الفكر السياسي ، ص ١٣٧
- (٢٥) المعموري ، ضمير حسين ، الفراغ التشريعي ، بحث منشور (محمد باقر الصدر ، ص ٢٠٦
- (٢٦) ينظر مغربي ، محمود عبد المجيد ، الوجيز في تاريخ القوانين ، ص ص ٧-٩
- (٢٧) محمد حسين الشيرازي ، هذا هو النظام الاسلامي ، ص ٣٠
- (٢٨) الشيرازي ، السبيل الى انهاض المسلمين ، ص ٨-٩
- (٢٩) العرداوي ، الفكر السياسي ، ص ١٣٧
- (٣٠) الشيرازي ، السبيل لانهاض المسلمين ، ص ٢٦٢
- (٣١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠
- (٣٢) (ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) : تاريخ ابن الوردي ، ١/١٨١ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء أسماعيل (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، ١٠/٣٧-٤١
- (٣٣) الشيرازي ، السبيل لانهاض المسلمين ، ص ٢٦٠-٢٦١
- (٣٤) المصدر نفسه ، ٢٦١
- (٣٥) السيد محمد الحسيني الشيرازي ، الأزمات والحلول ، ص ٤١
- (٣٦) الشيرازي ، السبيل لانهاض المسلمين ، ص ٢٦١
- (٣٧) الشيرازي ، اللاعنف في الاسلام ، ص ١١٢
- (٣٨) تمثلت مطالب الكرد بحقهم بالحكم الذاتي في منطقة نفوذهم والسماح لهم بتأسيس قوة عسكرية كوردية ونظام اقتصادي خاص بهم في شمال العراق ينظر ، علي طاهر الحمود ، العراق من صرع الهوية ، ص ١٦٣
- (٣٩) العرداوي ، الفكر السياسي ، ص ٣٩
- (٤٠) المصدر نفسه ، ٤٦
- (٤١) المصدر نفسه ، ص ٤٥
- (٤٢) الشيرازي ، السبيل لانهاض المسلمين ، ص ٢٦٢
- (٤٣) المصدر نفسه ، ٢٦٠-٢٦١
- (٤٤) المصدر نفسه ، ٢٦٣

(٤٥) المصدر نفسه، ٢٦١

(٤٦) سورة الانفال اية ٦٠

(٤٧) الشيرازي، السبيل لانهاض المسلمين، ص ٣٨-٤١

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٣

(٤٩) المصدر نفسه، ٢٦٤

(٥٠) المصدر نفسه، ٢٦٣

(٥١) الحصيني، عبد الرحيم، مستقبلنا، ص ١٧١

المصادر:

١-القران الكريم

❖ الأديب، محمد طالب

٢-رحلة في أفاق الحياة: إلف كلمة وكلمة للمجدد الشيرازي الثاني، دار العلوم للتحقيق

والنشر (بيروت- ٢٠٠٤)

❖ تريب، تشارلز

٣-صفحات من تاريخ العراق، تعريب زينة جابر إدريس، ط١، الدار العربية للعلوم

(دم، ٢٠٠٦)

❖ حسين، خليل إبراهيم:

٤-الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٨)،

❖ الحصيني، عبد الرحيم،

٥-مستقبلنا المعالم النظرية لاستشراف المستقبل الاسلامي، دار الغدير (قم- ٢٠٠٣)

❖ الحمود، علي طاهر

٦-العراق من صراع الهوية الى صحوة الهويات، مؤسسة مسارات (بغداد - ٢٠١٢)

❖ خدوري، مجيد

٧-العراق الجمهوري، ط١، مطبعة الأمير، (إيران، ١٩٦٨)

❖ الخزر جي نضير

٨- المرجعية الدينية في نصف قرن، الهدى (مجلة) العراق، العدد، ١٢، السنة الرابعة ١٤٣٢،

❖ الشيرازي، السيد محمد الحسيني

٩- اذ قام الاسلام في العراق، مؤسسة الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم للطباعة والنشر (كربلاء المقدسة-د.م)

١٠- الأزمات والحلول، مركز الرسول الاعظم (لبنان - ١٩٩٩)

١١- السبيل الى انهض المسلمين، دار صادق للطباعة والنشر، (العراق - ٢٠٠٤)

١٢- عشت في كربلاء، ط٣، دار الامين (بيروت-٢٠٠٦)

١٣- فقه الحكم في الاسلام، ط٢، دار العلوم (بيروت- ١٩٨٩)

١٤- كيف ولماذا خرجنا من العراق، مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر (بيروت- ٢٠٠٢)

١٥- هذا هو النظام الاسلامي، مركز الرسول الاعظم للتحقيق والنشر (بيروت- ١٩٩٨)

١٦- فقه السياسة، دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت- ١٩٨٩)

١٧- والدتي، مؤسسة الرسول الاعظم للتحقيق والنشر (بيروت- ١٩٩٩)

١٨- اللاعن في الاسلام، مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، (بيروت- ٢٠٠٢)

الصالحى، عبد الحسين

١٩- ال شيراز وتاريخ المرجعية العظمى، مجلة النبا، العدد ٩٦، المستقبل للثقافة والاعلام (دمشق- ٢٠٠٣)

❖ العرداوي، خالد عليوي جياذ العرداوي

٢٠- الفكر السياسي عند محمد الحسيني الشيرازي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد ٢٠٠٩

❖- العلوي، حسن

٢١- الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠، ط١، دار روح الأمين (طهران ١٤٢٦هـ)

❖- الغروي، السيد محمد

٢٢- مرجعية ومواقفها السياسية في مدرسة اهل البيت عليهم السلام، دار المحجة البيضاء (لبنان-٢٠٠٣)

❖- ابن كثير، أبو الفداء أسماعيل (ت٧٧٤هـ):

٢٣- البداية والنهاية، دار أحياء التراث العربي، بيروت،-١٩٩٧م

❖- ال نجف، عبد الكريم

٢٤- من أعلام الفكر والقيادة والمرجعية، مركز النجف للدراسات الحوزوية (النجف - د.ت)

❖- نصير، راجي

٢٥- المرجعية الدينية في النجف الاشرف وأثرها في الرأي العام العراقي بعد ٢٠٠٣، مركز العميد للدراسات والبحوث (العراق-٢٠١٦)

❖- المعموري، ضمير حسين

٢٦- الفراغ التشريعي، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي السنوي الاول عن الشهيد محمد باقر الصدر، العارف للمطبوعات (بيروت-٢٠٠٧)

❖- مغربي، محمود عبد المجيد

٢٧- الوجيز في تاريخ القوانين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت-١٩٧٩)

❖- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ)

٢٨- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت،-١٩٩٦م)

٢٩- ينظر شبكة الفكر للمعلومات الالكترونية